تاريخ تطور النظريات التربوية

History of the development of educational theories

د. زيات فيصل
جامعة العربي التبسي – تبسة .الجزائر
fayssal.ziat@univ-tebessa.dz
أ. مختار ديدوش محمد
جامعة أبو القاسم سعد الله / الجزائر 2
DIDOUCHE.MOHAMED@YAHOO.COM

تاريخ الاستقبال: 16 / 07 / 2019   تاريخ القبول: 15 / 09 / 2019   تاريخ النشر: 30 / 09 / 2019

ملخص:
عرف الفكر التربوي عبر العصور التاريخية المختلفة تغيرات وتحولات كثيرة، غيرت من مفهوم التربية وخصائصها ومناهجها وأهدافها، وذلك بحسب ظروف ومعطيات كل مرحلة تاريخية .
لقد كانت التربية قديما تمارس بطريقة بسيطة وبدائية في وسائلها، قائمة على التلقين والتقليد والمشاركة. إلا أن هذا المفهوم تطور عما كان عليه مع تطور الحياة البشرية. فقد تميزت التربية عند اليونانيين بالتجديد والابتكاروالحرية الفردية. وعند المسيحيين ركزت على معرفة الخالق، وتنشئة الفرد على أساس خدمة الرب. أما عند المسلمين فيعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية أصلان لكل عملية تربوية وتعليمية، ومنهما تستقى المناهج والأهداف والغايات. أما في العصر الحديث فقد عرفت العملية التربوية ظهور عدة اتجاهات ومدارس تربوية ممثلة بأبرز المفكرين التربويين من أمثال: جون جاك روسو، فروبل، هاربارت سبنسر، ... وغيرهم. لتدخل التربية في الفترة المعاصرة في تحديات جديدة بسبب العولمة والتطور العلمي والتكنولوجي.
- **الكلمات المفتاحية:** التربية، التاريخ، النظريات، التطور.

Abstract:
The educational thought has known several changes over the different historical eras and changed the definition of the education and its properties, process and goals and this according to circumstances and data of each historical period.
years ago, education used to be practiced simply and in a primitive way based on prompting, emitation and sharing. However this definition evoluated in parallel with humanity evolution. In addition, education at Greeks was distinguished by renewal, innovation and the personal freedom. At Chritians it insisted on knowing the creator and self upbringing based on service. But regarding to Mauslims, the holy Quran and the Sunnah (life of our prophet peace be upon him), these two are considered as a source or an origin to any educational and teaching process, and methods, goals and destinations are taken from them. How ever, in the modern era the educational process faced the apparition of many trends and educational schools represented by the skillest education intellectuals such as: John. Jack Russo, Froebel, Maria Montessori John Dewey and lots others, in order to make education in the modern era go through new

challenges because of the globalization, the scientific and technological développement.
- **Keywords:** *Education, history, theories, Development.*

- **مقدمة :**

لقد شكلت التربية بمختلف مواضيعها مصدرا كبيرا للتأمل والتفكير لكونها شديدة الارتباط بواقع الأفراد وحياة المجتمعات، وباعتبارها تعكس لنا ثقافة هذه المجتمعات وذلك بناء على سلوكاتهم وقيمهم، فمن أجل فهم أي ظاهرة حضارية لمجتمع ما علينا بالعودة إلى ظروف التنشئة الاجتماعية من خلال العملية التربوية .

لقد حظي موضوع التربية وتطورها بالدراسة والتحليل من قبل أقطاب الفكر التربوي والدراسات التربوية التعليمية منذ القدم، فقد تم تتبع تطور العملية التربوية والتغيرات الحاصلة فيها على مستوى المفهوم والمنهج والخصائص منذ العصر اليوناني مرورا بالعصور الوسطى والعصر الحديث ووصولا إلى الفترة المعاصرة. هذا وقد عرف الفكر التربوي عبر العصور التاريخية المختلفة تغيرات وتحولات كثيرة، غيرت من مفهوم التربية وخصائصها ومناهجها وأهدافها، وذلك بحسب ظروف ومعطيات كل مرحلة تاريخية .

انطلاقا من ذلك نطرح الأسئلة التالية: ما المقصود بالتربية؟ وما هي أهم التغيرات والتطورات التي مرت بها العملية التربوية في شتى المراحل التاريخية؟ .

1_ تعريف التربية :

أ_ المعنى اللغوي:

إن البحث في أصل كلمة التربية في معناها اللغوي نجد أنها مشتقة من الجذر اللاتيني EDUCATION، ومن الفعل E_DUCER أي يقود خارجا، كما تعني كذلك فعل النمو بمعنى قيادة وتوجيه الكائن الحي حتى يبلغ نموه وكماله . **(Morfaux, Lefranc,2005 ,p 120)**.

أما في معاجم اللغة العربية فنجدها مأخوذة من الفعل "ربّى". بحيث ورد في معجم لسان العرب لابن منظور "ربا الشيء يربو ربوا ورباء زاد ونما. وأربيته نميته"**(ابن منظور، 2004، ص : 69)** أي الزيادة في قدرات الطفل وتنمية ملكاته. وجاء في الصحاح للجوهري "ربا الشيء يربو ربوا أي زاد

(...) والرابية والربوة ما ارتفع من الأرض. وربوت في بني فلان وربيت أي نشأت."(**الجوهري اسماعيل بن حماد، 1990، ص: 878**)، بمعنى البيئة والمكان الذي ينشأ فيه الطفل ويترعرع. وهناك من جعل أصلها" ربّ، يربّ" بحيث يقال: ربّ القوم بمعنى ساسهم وكان فوقهم، وأيضا أصلح الولد وتولى أمره ورعاه، وذلك بتتبع أحواله والاستمرار في ذلك حتى يكبر ويشتد عوده .

لقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في أكثر من موطن، حيث نجدها في سورة الإسراء في قوله تعالى:« وقل رّبّ ارحمهما كما ربياني صغيراً.»(سورة الإسراء،24) ونجدها أيضا في سورة الشعراء في قوله تعالى:« قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين.»(سورة الشعراء،18) كما وردت أيضا في سورة الروم في قوله تعالى:« وما أتيتم من رّبا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند اللّه وما أتيتم من زكاة تريدون وجه اللّه فأولئك هم المضعفون.»(سورة الروم،39)

إن كلمة تربية لها أصول لغوية ثلاث :

1- ربا يربو بمعنى زاد ونما .
2- ربي يربي بمعنى نشأ وترعرع .
3- ربّ يربّ بمعنى أصلحه وتولى أمره وساسه.(**إبراهيم، 2008، ص : 09**) .

بعد عرضنا لجملة المعاني اللغوية لكلمة التربية نجد أنها تعني كل عملية تساعد على تشكيل عقل الفرد وجسمه وخلقه، وتعمل على المحافظة على فطرة النشء ورعايتها وتنمية مواهبه واستعداداته وذلك من خلال توجيهها نحو كمالها وصلاحها ومراعية في هذه العملية مبدأ التدرج .

ب_ المعنى الاصطلاحي :

إذا بحثنا عن مفهوم التربية في اصطلاح المفكرين والعلماء فإننا نجد تعريفات عديدة تختلف باختلاف المفكرين أنفسهم وبتعدد الاتجاهات والمذاهب والتيارات الفكرية .

التربية هي مجموع العمليات التي بها يستطيع المجتمع أن ينقل معارفه وأهدافه المكتسبة ليحافظ على بقائه، وتعني في الوقت نفسه التجدد المستمر لهذا التراث وأيضا للأفراد الذين يحملونه، "فهي سلسلة عملية إجرائية يدرب بها الراشدون الصغار من جنسهم ويشجعون لديهم

نمو بعض النزعات وبعض العادات."(**لالاند أندريه،2001، ص: 322**) وبهذا فالتربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في تطورها. كما تعمل التربية على تنمية شخصية المتعلم بشكل متكامل، فهي تتصف بالاستمرار بحيث لا تنقطع في سن معينة أو مرحلة معينة، بل تمتد على طول عمر الفرد ولذلك فهي عملية هادفة مخططة وذات طرق واضحة وأهداف محددة .

يعرف "جون جاك روسو" (1712_1778) التربية بأنها "عملية نمو متناسقة متزنة مفيدة لأنها تسمح للقوى الطبيعية أن تجري مجراها، وتحقق التربية هدفها عندما تسمح للطفل أن يعيش حياته اليومية وفق ميله الطبيعي."(**الفنيش علي أحمد ،1979، ص : 181**) فروسو هنا يرد التربية إلى الطبيعة الإنسانية وليس إلى أصل آخر كالمجتمع مثلا.

يرى "مارتن لوثر" (1483_1546) أن ثمرة التربية لا تتحقق إلا في ظل تعديل سلوك الفرد وإيجاد مجتمع صادق، وفي هذا يقول:« إني أرغب في عديد من الشعراء واللغويين، ولكن لا لمصلحة اللغة اللاتينية وأشعارها ونحوها وبيانها، وإنما لتكون دراستهم طريقا للوصول إلى الصدق (...) الذي يهديهم سواء السبيل.»(**أحمد عبد الرحمان عيسى،1988، ص ص : 16،17**)

أما الفيلسوف الاجتماعي "إميل دوركايم" (1858_1917) فيرى أن التربية ما هي "إلا ذلك العمل الذي تمارسه الأجيال الراشدة من أجل الحياة الاجتماعية، وهدفها أن تثير لدى الطفل وتنمي عنده طائفة من الأحوال الجسدية والفكرية والخلقية التي يتطلبها منه المجتمع السياسي في جملته وتتطلبها البيئة الخاصة التي يعد لها بوجه خاص."(**إبراهيم ناصر ،2008، ص : 16**) أي أنها عملية تنشئة اجتماعية يقوم بها الكبار على الصغار بهدف التكيف مع المجتمع الذي يعيشون فيه .

أما إذا جئنا إلى مفهوم التربية في اصطلاح المسلمين فإننا نجد الإمام الغزالي يعرفها بقوله:« معنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته ويكمل ريعه. ويقول أيضا: إن صناعة التعليم هي أشرف الصناعات التي يستطيع الإنسان أن يحترفها، وأن أهم أغراض التربية هي الفضيلة والتقرب إلى الله.»(**الفاربي عبد اللطيف،1994،**

ص : 89) فالتربية تعتبر رسالة سامية، وأن على المربي أن لا يطلب أجرا لتعليم الناس ولا يقصد به جزاءً ولا شكرا، بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه.

يعرف محمد عبد الله دراز التربية بأنها:« تعهد الشيء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية والأخذ به في طريق النضج والكمال الذي تؤهله له طبيعته، والتربية الإنسانية الكاملة هي التي تتناول قوى الإنسان وملكاته جميعها.»**(الدعيلج إبراهيم عبد العزيز، 2007، ص : 15)** بحيث تسعى إلى تكوين وتنشئة إنسان سليم ومتكامل من جميع جوانب حياته المختلفة .

يرى الراغب الأصفهاني أن التربية هي عملية "إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام." كما يعرفها البيضاوي بقوله:« هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا.» **(الدعيلج إبراهيم عبد العزيز، 2007، ص : 15)** ذلك لأن التربية لا تتم دفعة واحدة، بل يجب أن يراعى فيها التدرج وهذا حسب قدرات سن الطفل .

إن هذه التعريفات على تنوعها واختلافها تبين لنا الدور والأهمية البالغة التي تحتلها عملية التربية في حياة الإنسان. ورغم هذا الاختلاف بينها إلا أنها تلتقي في النقاط التالية :

_التربية تهدف إلى تطوير طاقات الفرد الجسمية العقلية والنفسية ضمن الظروف الملائمة حتى يصل هذا الفرد إلى نموه وكماله .

_التربية عملية تكيف وتفاعل بين أن يقدم للتراث الإنساني شيئا جديدا .

_الجيل البالغ يوجه الجيل الناشئ توجها مقصودا أو غير مقصود .

2_ تطور التربية عبر العصور :

لقد مر الفكر التربوي بمراحل عديدة وأزمنة وعصور مديدة تطور من خلالها واكتسب معانيه وخصائصه ومبادئه وأهدافه. وعليه سنحاول هنا أن نعالج أهم تلك التطورات التي حصلت للتربية في كل مرحلة، من خلال التركيز على أهم الأفكار التربية عند روادها ومربيها.

أ_ التربية في العصور البدائية والحضارات الشرقية القديمة:

لقد امتازت التربية عند الشعوب البدائية ببساطتها وبدائية وسائلها، مثلها في ذلك مثل الحياة العامة التي كانت تحياها تلك المجتمعات البدائية في فجر الحضارة الإنسانية.**(الشيباني**

عمر محمد التومي،1971، ص : 22) كما أنها تربية تسعى فقط للحصول على ضروريات الحياة للفرد، وتحقيق التوافق والانسجام بينه وبين بيئته المادية والروحية، وتعتمد على التلقين والتدريب العملي والتقليد اللاشعوري، فمن خصائصها أنها كانت تتم بطريقة غير مقصودة، بمعنى أنها لا يتولى القيام بها معاهد ومؤسسات خاصة، بل يقوم بها المجتمع بأسره.**(الشيباني عمر محمد التومي،1971، ص : 23)** فهي إذن تربية جامدة محافظة لا ابتكار فيها قائمة على التقليد والمحاكاة .

هناك من يعتبر التربية عند الشعوب البدائية من حيث خصائصها ومبادئها أصل للتربية الحديثة. ذلك لأن "التربية كما عرفتها تلك الشعوب حملت جملة من السمات والخصائص شبيهة بتلك التي عرفتها التربية في أكثر مراحلها نموا وتطورا."**(عبد الدايم عبد الله،1984، ص : 14)** فالتربية اليوم لم تستطع التخلص من ذلك الاطار التقليدي لها (التقليد والمحاكاة) سواء داخل الأسرة أو المدرسة أو المجتمع عموما .

أما بالنسبة للتربية في الحضارات الشرقية (المصرية، الصينية، الهندية، البابلية)، فقد تميزت بنظمها التربوية المختلفة، إلا أنها تقريبا واحدة في سماتها العامة. لا يسعنا المقام دراسة مفهوم التربية ومبادئها وأهدافها في هذه الحضارات جميعها، لذا سنقتصر على التربية الصينية كنموذج لهذه الحضارات.

إن التربية الصينية تعكس طبيعة الحياة المميزة للمجتمع الصيني، من صفاتها أنها تتميز بالرتابة والسكون والمحافظة على عادات وتقاليد الماضي الموروثة. فهي "تعتبر عملية تلخيص للماضي، ترمي إلى أن تركز في الفرد حياة الماضي كي لا يتخطاه أو يتخلف عنه، وهي تعمل في كل مرحلة من مراحلها على أن تحدد للفرد ما يعمل وما يشعر به وما يفكر فيه، وهي ترسم له الطريقة المثلى التي يتم بها العمل وكيفية التعبير عن انفعالاته."**(الشيباني عمر محمد التومي،1971، ص : 24)** وهذا ما جعل من التربية في الحضارة الصينية في جميع مراحلها متشابهة، وتكاد تكون واحدة.

تشتهر الصين بكثرة المدارس، فلا نكاد نجد قرية صينية بدون وجود مدرسة فيها. فالتعليم يحظى بمكانة مرموقة عندهم. إلا أنه مثله مثل التربية، تعليم محافظ "آلي وصوري لا يعنى المعلم فيه إلا بأن يكسب المتعلم مهارة عادات آلية منظمة وأكيدة ... تعنى طرق التدريس بتمرين الذاكرة والحافظة لا بتكوين الفكر وتعهد الكلمات."**(عبد الدايم عبد الله،1984، ص : 33)** فالهدف من التعليم الصيني جمع وتخزين المعلومات في عقل المتعلم، لا تكوين شخصيته وتطويرها .

يعتبر "كونفوشيوس" (551 ق.م _ 478 ق.م) الممثل الرئيسي للتربية الصينية الذي دعا إلى إحياء العادات والطقوس الدينية، وركز اهتمامه بالإنسان من خلال تبيان جملة الفضائل والمكارم التي يتوجب عليه الاتصاف بها .

تقوم فلسفته على تأكيد النظام الطبيعي وارتباطه بفكرة الواجب. إذ نجد في أحد كتب كونفوشيوس النص التالي:« إن ما منحه الإله هو ما يسمى بالطبيعة، وما يطابق الطبيعة يطلق عليه طريق الواجب، وتنسيق هذا الطريق هو ما يعرف بالتعليم.»**(الشيباني عمر محمد التومي،1971، ص: 25)** الذي يهدف إلى الحفاظ على ما هو موجود دون الحاجة إلى التغيير .

ب_ التربية في العصر اليوناني :

على خلاف التربية الصينية التي تميزت بالرتابة والجمود، تميزت التربية اليونانية بروح التجديد والابتكار ودعم الحرية الفردية، وكانت غاية التربية أن يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة ويكون ذلك بوصوله إلى الكمال الجسمي والعقلي. ويعتبر الإغريق هم أول من تناول التربية من زوايا فلسفية، بحيث كانت التربية محور اهتمام فلاسفة أثينا حتى أن البعض يرى بأن الثقافة والأفكار اليونانية هي أساس معظم الثقافات التي ظهرت في أوربا .

يجب التمييز بين نوعين من التربية في بلاد اليونان، وذلك لوجود مدينتين كبيرتين ومتمايزتين هما إسبرطة وأثينا. فبخصوص التربية الإسبرطية فقد تأثرت من حيث طبيعتها ومبادئها وأهدافها بالظروف الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمدينة إسبرطة. فقد كان أكبر همها إعداد جيش قوي للدفاع عن سلطتها، وخوض المعارك الخارجية، لذا نجدها تربية عسكرية بامتياز، فقد ركزت في تربية أفرادها تكوينهم الجسدي أي بنيتهم الجسمانية، وعلى زرع فضائل

الشجاعة والبسالة والتضحية فيهم.(**الشيباني عمر محمد التومي،1971، ص ص : 27،26**) ذلك أن هدفها الرئيسي كان يكمن في تكوين جنود ومحاربين أشداء.

هذا الاهتمام بتعزيز القدرات الجسدية والحربية للأفراد قابله تهميش للتربية العقلية والأخلاقية، مما نتج عنه الجهل والغلطة في المعاملة. يقول أرسطو منتقدا هذا النوع من التربية:« تكون في مأمن ما دامت في زمن الحرب (...) لكنها تفشل في زمن السلم، واللوم في هذا يقع على مشرعيهم الذين لم يعلموهم مطلقا كيف يعيشون في زمن السلم.»(**الشيباني عمر محمد التومي،1971، ص : 28**) ومن نتائجها أيضا أننا لا نكاد نجد مفكر أو فيلسوف واحد في تاريخ مدينة إسبرطة كلها.

أما بالنسبة للتربية الأثينية فهي خلاف التربية الإسبرطية التي اهتمت بالبنية الجسدية فقط. "ففي أثينا كانت العناية موجهة إلى الروح والجسد معا مع شيء من الرجحان للثقافة الروحية. إذ كان الجمهور الأثيني يتذوق الكلام والخطابة وفن القول إلى حد المبالغة أحيانا، ويبلغ من تذوقه له أن يظهر بينه من يسيء استثمار هذا التذوق، كما فعل السوفسطائيون."(**عبد الدايم عبد الله،1984، ص : 54**) فقد اهتم المشرع الأثيني بتعليم الناشئة علوم النحو والخطابة والموسيقى والفن والاخلاق إضافة إلى الرياضة طبعا .

لقد اتخذت التربية الأثينية في هذا العصر شكلا منظما وأصبح لها معاهدها الخاصة وأهدافها المحددة. ولأول مرة في تاريخ الحضارة الإنسانية أصبحنا نجد نوعا من التربية يختلف في خصائصه عن التربية البدائية، ويجمع الكثير من خصائص التربية الحديثة في فلسفته وأهدافه ومناهجه وطرقه، "فقد كان هدف التربية عند الأثينيين في عهد ازدهار ديمقراطيتهم يماثل هدفها في المجتمعات الديمقراطية في الوقت الحاضر، ألا وهو مساعدة الفرد على تحقيق النمو المتكامل والاهتمام بالناحية الجسمية والعقلية والروحية والفنية."(**الشيباني عمر محمد التومي،1971، ص : 29**)

لقد ظهر في هذا العصر العديد من الفلاسفة حاولوا العمل على إصلاح شؤون التربية وتطويرها، ومن أشهرهم " أفلاطون" (427 _347 ق.م) الذي قدم في كتابه الجمهورية نظرية تربوية جديرة بالدراسة والاهتمام .

تبرز أفكار أفلاطون التربوية في تقسيمه للمجتمع إلى ثلاث طبقات: طبقة الفلاحين، طبقة الجند، طبقة الحكام. فبحكم نشأته الأرستقراطية نجد أن طبقة الفلاحين محرومين من أي تربية، هدفهم في الحياة أن يتعلموا حرفة من الحرف ويعملوا بها. أما بالنسبة فئة الجند فثقافتهم هي الرياضة والموسيقى وحتى الأدب والجمال. أما طبقة الحكام فمهمتهم تولي حكم الدولة، لذا فثقافة رفيعة المستوى، إذ يجب عليهم تعلم العلوم الفلسفة.**(عبد الدايم عبد الله ،1984، ص : 66)**

إن لنظرية أفلاطون التربوية جملة من الأهداف تهدف إلى تحقيقها، والتي أشار إلى عدد منها في أمكنة متفرقة في كتابه "الجمهورية" من بينها تحقيق وحدة الدولة، بحيث كان يرى أن الغرض الأول للتربية هو تنمية روح الجماعة أو الإحساس بالشعور بالحياة الاجتماعية، كما تعمل التربية على تنمية المواطنة الصحيحة في الأفراد وذلك عن طريق إمداد الشبان بالمعرفة الدقيقة عن طبيعة الحكم وطبيعة الحق المطلق حتى يستطيعوا ممارسة الأعمال الرئيسية في الحياة المدنية والاجتماعية، هذا بالإضافة إلى تكوين أطفال قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم ويستطيعون بتفكيرهم التصرف في المسائل المتعلقة بسلوكهم، وبذلك يوفرون على الدولة عبء إصدار تعليمات وقوانين تفصيلية في مثل هذه المسائل.**(الشيباني عمر محمد التومي،1971، ص : 34)**

ما يعاب على نظرية أفلاطون التربوية أنها معظم أفكارها من نسج الخيال، بعيد كل البعد عن الواقع المعاش. هذه الافكار اليوتوبية نلمسها بكثره في كتابه الجمهورية. وتداركا لهذا العيب حاول أفلاطون العودة إلى الواقع وملامسته من خلال مراجعة أفكاره في كتابه القوانين .

ج_ التربية في العصور الوسطى :

إذا انتقلنا إلى تتبع التربية في العصور الوسطى فإنه بعد تولي الامبراطور قسطنطين (272_337 م) حكم الامبراطورية الرومانية أصدر قرار أن تصبح المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية. هذا القرار كان من شأنه أن يقلل من ظاهرة الانحلال الأخلاقي الذي كانت تعرفه الإمبراطورية آنذاك. فقد قام الديني المسيحي ببعث روح جديدة في التربية وفي المجتمع بأن وجه التركيز العناية بالسلوك والأخلاق أكثر من العقل والفن والجمال، وتغير هدف التربية من إعداد الفرد للعيش في

الحياة الدنيا إلى الإعداد للحياة الآخرة.(**عاقل فاخر،1974، ص ص : 07،08**) من خلال العمل على تهذيب الروح وكبح شهواتها وانغماسها في ملذات الحياة، وانماء روح الفضيلة فيها ومعرفة الخالق.

على عكس التربية اليونانية التي كانت أرستقراطية في توجهها وتركيزها على الطبقة الحاكمة التي استأثرت بالعلم والأدب لنفسها، توجهت المسيحية نحو الطبقات الفقيرة المعدمة، فرفعت من شأنهم وقيمتهم انطلاقا من فكرة أن جميع الناس متساوون أمام الخالق. ومن هنا ندرك طبيعة ذلك الصراع الحاصل آنذاك بين الفلسفة والدين، فهو في وجهه الخفي صراع بين الطبقتين الثرية والفقيرة. ومادام الطبقة الفقيرة أكثر كثافة من حيث عدد السكان يتبين لنا سبب سيادة التربية الدينية والأخلاقية في المجتمع. لقد ركزت المسيحية على التربية الأخلاقية، بدلا من العقلية لأنها رأت أن "حل مشاكل العالم لا في السعادة العاجلة ولا في طبيعة الإنسان العاقلة، إنما في فكرة المحبة والاحسان."(**عاقل فاخر،1974، ص : 08**) وبهذا انفصلت الأخلاق عن الفلسفة بعد أن كانت فرعا من فروعها، وارتبطت بالدين مما أكسبها مكانة خاصة بالنسبة للأفراد والمجتمع .

لقد كانت التربية في العصور المسيحية الأولى تتم في الكتاتيب والأديرة التي تديرها سلطة الكنيسة. فقد كانت مهمتها إعداد الأطفال لتقبل المسيحية وتعاليمها وأهدافها، ولكي يصبحوا آباءً ورهبانا عندما يكبرون، وعيش حياة الزهد والتقشف. "فالمسيحي كان منفصلا عن العالم الإنساني ليدخل في ملكوت الله، وكان عليه أن يعزف عن عالم فاسد مليء بالشرور وأن يتعهد نفسه بالحرمان والانصراف عن كل لذة وأن ينزع بكلمة واحدة إلى أن يقلد الله. والله هو القداسة المطلقة ونفي لكل ما يتصل بالحياة الدنيا وهو الكمال الأسمى."(**عبد الدايم عبد الله، 1984، ص : 106**) وعليه فإن الاستعداد للقاء الخالق هو الغاية القصوى من الحياة التي كان يعيشها المسيحي . ظلت التربية المسيحية تسير على هذا النحو (طريق الرهبة) إلى أن جاء الامبراطور شارلمان (742_814) الذي قام بحركة نهضوية وتعليمية قائمة على إحياء العلوم والمعارف، وتعميم التعليم وتحسين ظروفه والنهوض بالثقافة، مستعينا في ذلك بمجموعة من المربين من أمثال العالم

الانجليزي "ألكوين" (735 _ 804م) الذين أنشأ عديد المدارس والكاتدرائيات، فقد أعاد إحياء ما يعرف بالفنون السبعة: النحو والخطابة والجدل والحساب والهندسة والفلك والموسيقى. كما أعاد الاعتبار للفلسفة التي بدأت تعود تدريجيا إلى ساحة الثقافة .

بعد نهضة شارلمان قامت في القرن الحادي عشر حركة جديدة سميت الحركة المدرسية (السكولاستيكية) التي تعتبر حركة عقلية تسعى للتوفيق بين العقل والدين، أي محاولة فض التعارض بين الحقائق العقلية والتعاليم الدينية، وذلك بالاستعانة بالمنطق الأرسطي الذي حظي بعناية واهتمام كبير من قبل رواد هذه الحركة. إذ نجد القديس "أنسلم" (1109 – 1134) الذي قدم الإيمان على العقل في مقولته "أؤمن لأستطيع أن أفهم". ليقابله بالعكس القديس "أبيلار" (1079_ 1142) الذي أعطى الأولوية للعقل على حساب الدين في محاولته لتأسيس وبناء العقيدة على الدليل العقلي. من جهة أخرى عرف التعليم تطورا ملحوظا تمثل في إنشاء العديد من المراكز الثقافية والجامعات في بعض الدول الأوروبية، مثل جامعة باريس في فرنسا لتعليم اللاهوت والفلسفة، وجامعة نابولي بإيطاليا، وجامعة براغ وفيينا وهيدلبرغ.**(عبد الدايم عبد الله،1984، ص ص : 113 _123)** مما سمح ببروز العلم الحر وانتشار البحث العلمي.

في الأخير يمكننا بشكل عام أن نبرز أهم الخصائص التي تميزت بها التربية في العصور الوسطى في النقاط التالية :

1- قصر التربية العالية على رجال الكنيسة وأبناء الطبقات العليا.
2- سيطرة الثقافة اللفظية والتمحكات الكلامية، والعناية بآلية البرهان العقلي، واستبعاد العقل للقياس وأشكاله.
3- سيطرة الكنيسة سيطرة مطلقة، هذه الكنيسة كانت ترسم لجميع الناس الحدود التي عليهم ألا يتجاوزوها في الفكر والعقيدة والعمل.**(عبد الدايم عبدالله ،1984، ص ص :127،128)**

د _ التربية في الحضارة الإسلامية:

في الجهة المقابلة إذا نظرنا إلى الفكر التربوي الإسلامي، فإننا نجد أن التربية العربية الإسلامية قد اتخذت أشكالا وخصائص مختلفة. وذلك حسب الأطوار التاريخية التي مرت بها

الحضارة الإسلامية. "فهنالك الطور الأول، طور نمو الإسلام في عهد الرسول، وهنالك الطور الثاني، طور الفتوحات الإسلامية التي بدأت في عهد أبي بكر أول الخلفاء الراشدين وقاربت نهايتها في عهد الأمويين (661_ 750)، وهنالك الطور الثالث، طور تكوين الحضارة العربية والامتزاج بين الشعوب والحضارات، ويبدأ هذا الطور مع بداية الطور العباسي تقريبا ويمتد حتى ظهور الأتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي، وتدخل في هذا الطور حضارة الأندلس منذ القرن الثامن الميلادي، وهنالك أخيرا الطور الرابع الذي يبدأ مع ظهور الأتراك السلاجقة وينتهي بظهور قبائل المغول المتبربرة في أواسط آسيا في القرن الثالث عشر الميلادي."**(عبد الدايم عبد الله،1984 ، ص ص :142،141)** برغم اختلاف التربية في هذه الأطوار إلا أن لا يمنعنا من القول بوجود تربية إسلامية واحدة ومتجانسة في مبادئها وأهدافها .

يعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أصلا التربية، ومنهما تستقى كل مبادئها وأهدافها. إن التربية الإسلامية تعبر بعمق عن روح الشريعة الإسلامية "فأول ما بدأت كانت على يد النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يعلم الناس كافة أمور دينهم ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، فكان بذلك أول معلم في الإسلام، ومن المعروف عنه أنه كان يفتدي أسرى بدر لتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة."**(الأهواني أحمد فؤاد،1975، ص : 08)** هذا من جهة، ومن جهة أخرى تقوم التربية في الإسلام على الوسطية، أي التوفيق والجمع بين أمور الدنيا وأمور الآخرة، وهذا على خلاف التربية اليونانية التي اهتمت بالدنيا، والتربية المسيحية التي انشغلت بالإعداد للآخرة. فالإسلام قد حث على الجمع بين الاثنين، وبين ذلك في قوله تعالى:« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا.»(سورة القصص،77) فالتربية صورة من أسمى صور العبادة ميدانها الكون ومحورها الإنسان وهدفها الحياة اليومية .

لقد عرف الفكر التربوي الإسلامي العديد من المربين الذين كانت لهم اهتمامات تربوية خاصة بهم، ولعل من أهم المربين الإسلاميين الذين برزوا أكثر في مجال التنظير التربوي والمنهجي نجد "أبي حامد الغزالي" (1058_ 1111) الذي رتب المنهج الدراسي تبعا لمراتب العلوم عنده، فجعل العلوم الدينية التي تشمل الأصول ويقصد بها القرآن والسنة وآثار الصحابة، والفروع والمتماثلة

في الفقه والتفسير وما يتصل بعلوم اللغة والنحو. فهي كلها متممة ومكملة للأصول ويصفها بأنها علوم فرض عين. أما علوم فرض كفاية فتشمل الطب والحساب والصناعات والعلوم الثقافية. وفي هذا يقول:« اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم بالإضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية، وأعني بالشرعية ما أستفيد من الأنبياء (ص) ولا برشد العقل مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل الفقه.»(**الغزالي أبي حامد**،1992، ص : 232)

يرى الغزالي أن الطفل يولد صحيح الفطرة وخال من كل نقش وقابل لكل نقش، فالفطرة الإنسانية عنده قابلة لكل شيء وأنه ليس لها قبل التربية أي لون. فالخير يكتسب بالتربية والشر بالتربية وليس للإنسان بفطرته ميل خاص لا إلى الخير ولا إلى البشر، وإنما يسعد أو يشقى بما يقدمه إليه والده أو معلموه. وفي هذا يقول:« كل مولود يولد معتدل صحيح الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا، وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم.»(**الغزالي أبي حامد**، 1992، ص : 33)

انطلاقا من هذه النظرة إلى طبيعة الطفل، يرى الغزالي أن على المربي أن يصون الصبي عن الآثام بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوده على التنعم، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر. كما يرفض الغزالي أن يعامل الأطفال بطريقة واحدة، وإنما يجب أن تختلف طريقة معاملتهم باختلاف أمزجتهم وطبائعهم وبيئتهم. وفي هذا يقول:« وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرض بعلاج واحد قتل أكثرهم، كذلك المربي لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم، وإنما ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حال سنه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة ويبني على ذلك رياضته.»(**الغزالي أبي حامد**،1992، ص : 73)

إن الهدف من التربية عند الغزالي هو تحقيق بعض الغايات والأهداف التي تؤدي إلى رفع المستوى الروحي والخلقي والفكري لدى الفرد والمجتمع والتي من بينها: "تحقيق الكمال الإنساني

وذلك بارتقاء النفس الإنسانية من مجال الحس إلى مجال التفكير، والارتقاء بالإنسان من مستوى الخضوع للأهواء والشهوات إلى مقام العبودية لله. كما تسعى إلى تربية النفس على الفضيلة والتي يكون تحقيقها عن طريق تصفية القلب لذكر الله والعمل على تزكية النفس وتهذيب الأخلاق."**(بهي الدين زيان،1958، ص : 25)** ومن جهة أخرى تعمل التربية على تكوين الشخصية المتوازنة للفرد وذلك من خلال التركيز على المكونات الرئيسية للنفس الإنسانية والتي تتمثل في العقل والروح والجسم، والنظر إليها باعتبارها كيان واحد متكامل، والعمل على تزكيتها وتطويرها حتى يتسنى لنا خلق جيل واع ومتكامل ومتوازن في شخصيته .

و_ التربية في العصور الحديثة :

في بدايات القرن الخامس عشر عرفت أوروبا قيام حركة تجديدية واسعة شملت جميع المجالات المختلفة الفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. سميت هذه الحركة بالنهضة الأوروبية التي تعتبر عملية إحياء وإعادة الاعتبار للتراث اليوناني والروماني القديم من فنون وآداب وفلسفة وعلوم. وكذا تركيز العناية بالطبيعة البشرية ودعم الحرية الفردية للإنسان من خلال إحياء ما يعرف بـ "التربية الحرة" التي كانت معروفة عند اليونان والرومان سابقا. والتي يعرفها "بولس فرجيريوس" (1349_ 1420) بقوله:« إننا نسمي دراسات حرة كل الدراسات اللائقة بالإنسان الحر، تلك الدراسات التي نحصل بواسطتها على الفضيلة والحكمة وتلك التربية التي تظهر مواهب الجسد والنفس وتنميها وتسمو بها وتعتبر بحق في المنزلة الثانية بعد الفضيلة.»(عاقل،1974، 74) فهدف هذه التربية تكوين الفرد وتمنية جميع جوانبه، ليكون عضوا فاعلا في المجتمع .

في القرن السادس عشر ظهر نوع جديد من التربية مخالف للتربية الحرة التي سادت في عهد النهضة الأول، سميت بالتربية الإنسانية الضيقة التي اتخذت من اللغات والآداب القديمة موضوعا لها، إذ أصبح تعلم هذه الآداب هو الشغل الرئيسي للتربية، بدلا من تعلم أمور الحياة اليومية. كما أن هذه التربية اهتمت بالشكل بدلا من المحتوى، وذلك لتركيزها على اللغة والأدب

(البديع والبيان) وخلوها من الاهتمام بالعنصرين الجسدي والاجتماعي.(**عبد الدايم عبد الله،1984، ص : 269**) وهذا ما أدى إلى تضييق معنى التربية .

أما في القرن السابع عشر فقد سادت التربية الواقعية "التي تجعل من الحوادث الطبيعية والمؤسسات الاجتماعية لا اللغات ولا الآداب، موضوع الدرس في المدارس."(**عاقل فاخر،1974، ص : 106**) وقد انقسم هذا النوع التربية إلى ثلاث حركات رئيسية، أولاها التربية الواقعية الإنسانية التي يتفق أصحابها (فرانسوا رابليه، لويس فيقز، جون ملتون) مع الإنسانيين الكلاسيكيين الذين جعلوا من اللغات والآداب موضوعا للتربية. إلا أنهم يختلفون معهم حول النظرة إلى تلك الآداب. فبينما كانت تللك الآداب واللغات غاية وهدف الإنسانيين الكلاسيكيين، أصبحت مع الإنسانيين الواقعيين مصدر لمعرفة تراث الماضي وطرق الحياة والمعيشة عند الشعوب القديمة. أما الحركة الثانية فسميت بالواقعية الاجتماعية التي يرى رائدها ميشال دي مونتين أن هدف التربية هو تكوين الفرد وتقوية مواهبه لمواجهة تحديات الحياة. فالتربية أداة لضمان الحياة السعيدة والناجحة فرديا واجتماعيا للإنسان. أما الاتجاه الثالث المعروف بالواقعية الحسية فهو ذو نزعة علمية بالدرجة أولى، فقد أولى اهتمام وعناية كبرى بالإدراك الحسي في عملية التربية. إذ يرى أن العملية التربوية تتم بالأساس عن طريق الحواس لا الذاكرة، أو اللغة.(**عاقل فاخر،1974، ص ص : 107 _116**)

وإذا ما أردنا التعرف على أهم النظريات التربوية التي سادت في القرن الثامن عشر فإن "جان جاك روسو"(1712 _1778) يحتل مركز الريادة في الاهتمام بالتربية والتي اتخذها منهجا وطريقة لتحقيق فلسفته الطبيعية. معظم أفكاره التربوية وردت في كتابه "إميل" الذي يصف في بدايته طريقته في التربية بقوله:« يخرج كل شيء من يد الخالق صالحا، ولكن كل شيء في أيدي البشر يحقه الاضمحلال.»(**روسو جان جاك، 1985، ص : 24**) بمعنى أن طبيعة الطفل خيرة بالفطرة، وأن مصدر كل الشرور التي يكتسبها تأتي عن طريق المجتمع، لذا علينا حماية الطفل منه .

هذا ويقصد روسو بالطبيعة "هو أن الأحكام الغريزية والعواطف الابتدائية والغرائز الطبيعية والانطباعات الأولى يمكن الوثوق بها كقاعدة للعمل أكثر من التأمل والتجربة التي تتكون عن طريق الاتصال بالآخرين."(**عاقل فاخر،1974، ص : 151**) أي بمعنى جملة المبادئ والاستعدادات الفطرية التي يولد الطفل مزودا بها .

لقد قال روسو بمفهوم التربية السلبية والتي لا يقصد بها نفي ضرورة التربية أصلا. وإنما يقصد بها تلك "التربية التي تسير وفقا لقوانين الطبيعة تحترم ميول الطفل وغرائزه الفطرية ونزعاته الأولية ورغباته المعقولة، وتعمل على تحرير قواهم بدلا من كبتها واذلالها واخضاعها للنظم والتقاليد الاجتماعية، لأن في الحرية عونا للطفل على تنمية شخصيته وتعويده على الاستقلال والاعتماد على النفس."(**عبد الدايم عبد الله ،1984، ص : 164**) وهذه التربية يجب أن تستمر حتى سن الثانية عشر، وفي هذه الفترة ما على المربي إلا أن يكون موجها ومؤطرا لها. يقول في ذلك:« أعدوه من بعيد كي تسود حياته الحرية والقدرة على استعمال قواه كلها، تاركين لجسمه العادة الطبيعية، بحيث يكون دائما سيد نفسه، قادرا في جميع الأمور على العمل بمشيئته، متى صارت له مشيئة.»(**روسو جان جاك، 1985، ص : 64**)

يعتبر الفكر التربوي عند روسو أصل وبداية الاتجاهات التربوية التي ظهرت في القرن التاسع عشر. إذ نجد المربي "بستالوتزي" (1746_1827) الذي يعتبر من أهم رواد التربية في هذا العصر، إذ يعرف التربية بقوله:« إن التربية هي عملية النمو المتزن المنسجم لجميع قوى الفرد.»(**الشيباني عمر محمد التومي،1971، ص : 201**) فالتربية الصحيحة يجب أن تسير حسب القوانين الطبيعية لنمو الطفل بدلا من أن تكون متناقضة لها ومعرقلة لسيرها، فهي عملية النمو العضوي الكامل المتكامل لكافة ملكات الشخص .

إن المبدأ الذي تقوم علية نظرية بستالوتزي التربوية يكمن في مبدأ النمو العضوي، والطفل حسب هذا المبدأ كائن عضوي ينمو وفقا لقوانين محددة ومنظمة. فلقد كان من بين الأغراض الأساسية التي يسعى إليها بستالوتزي من وراء ملاحظاته لنمو الأطفال هو الكشف عن القوانين التي يسير حسبها نمو الطفل. بحيث وصل إلى أن للنمو العضوي البشري ثلاثة مظاهر أو جوانب رئيسية،

أولها الجانب العقلي الذي يتحقق نتيجة لاحتكاك الفرد بالبيئة المحيطة به، وثانيا الجانب الجسمي الذي من بين مظاهره ما يعبر عنه الفرد بنشاطات حركية، وثالثا الجانب الأخلاقي الذي يتصل بعلاقات الفرد مع غيره من بني جنسه ومع ربه، ولقد أطلق بستالوتزي على هذه المظاهر الثلاثة: الرأس واليد والقلب.**(الشيباني عمر محمد التومي،1971، ص : 214)** ومنه فعلى التربية أن تهتم بهذه الجوانب الثلاثة (العقلية والجسمية والخلقية).

بالإضافة إلى بستالوتزي نجد أيضا المفكر الألماني "فريديريك هربارت" (1776_ 1841) الذي "يؤمن بأن التربية هي عملية بناء الأخلاق وتكوين الشخصية المتكاملة النمو."**(الشيباني عمر محمد التومي،1971، ص : 244)** ولكي يتحقق النمو الخلقي الكامل والشخصية المتكاملة لابد من وجود التعليم المنظم الصالح الذي يستمد أسسه من طبيعة العقل، والذي لابد أن يسيروفق قوانين التعلم الصحيح. ذلك أن عملية التعلم في نظر هربارت لا تعدو أن تكون عملية ربط بين الأفكار القديمة والأفكار الجديدة في عقل التلميذ. ولكي يتحقق هذا الربط لابد من وجود شرط أساسي ألا وهو وجود ميل أو اهتمام من جانب التلميذ، " فالميل شرط ضروري في عملية التعلم بحيث يجب أن يكون ميل عميق يدفع الذات إلى الحركة والنشاط ويساعد العقل على عملية الربط بين الأفكار الجديدة والقديمة."**(الشيباني عمر محمد التومي ،1971، ص : 244)** وبالتالي ففقدان الميل أو الاهتمام من طرف التلميذ يؤدي إلى بطلان التعلم .

إن التربية في نظر هربارت تسعى إلى تحقيق هدفين أساسيين ومن أجلهما وجدت وهما: تكوين الأخلاق الحسنة وغرس روح الخير والفضيلة في الطفل، وتحقيق النمو المتكامل المنسجم. وهذان الهدفان ليسا منفصلين بل هما مرتبطان تمام الارتباط والتلازم .

هـ_ التربية المعاصرة :

أما في القرن العشرين فظهرت ما تعرف بالتربية التقدمية والتي حمل لواءها الفيلسوف والمربي الأمريكي "جون ديوي" الذي تعتبر أفكاره الفلسفية والتربوية بمثابة رد فعل على الفلسفة المثالية الكلاسيكية وعلى الذين لا يهتمون بالواقع الخبري ويحتكمون للأفكار المجردة. وفي مقابل ذلك قدم تصورا جديدا للفلسفة بصورة عامة والتربية بصورة خاصة، وهذا التصور يتمثل في

الخبرة. ولقد ربط ديوي بشكل كبير بين التربية والخبرة بحيث اعتبر الخبرة أساس التربية وأولى اهتماما خاصا بها، فآمن بأن التربية الصحيحة إنما تتحقق بها ولا شك أن الخبرة التي يقصدها ديوي هي الخبرة النافعة التي تحقق تفاعلا بين الفرد وبيئته ويستثني بذلك الخبرات التي لا تتضمن تفاعلا ولا تحدث التغيرات المرغوب فيها في سلوك الفرد.(ديوي،20) وبهذا كانت التربية للخبرة وعن طريقها وفي سبيلها، وفهم طبيعتها يقتضي ملاحظة ما تتضمنه من عنصرين هامين وهما الفاعل والمنفعل، فأما الناحية الفاعلة فيعني بها ديوي المحاولة أو التجربة . في حين يشير الانفعال إلى المعاناة بحيث إذا أثرنا في شيء فإنه يعاودنا ويحدث فينا أثرا مقابلا.**(ديوي جون، 1964، ص : 145)** فتظهر طبيعتها متغيرة تغيرا منتجا لا عقيما لأنها ترتبط بالوعي لما ينتج عنها، وبهذا لا يمكن الفصل بين العمل الفاعل والمعاناة المنفعلة في الخبرة .

ولما كانت التربية هي أداة لاستمرار الحياة، والحياة مرتبطة بالخبرة فإن جون ديوي نظر إلى التربية على أنها هي التكوين الجديد للخبرة أو كما يقول:« هي عملية نمو داخل الخبرة وبالخبرة وللخبرة.»(ديوي، 24) ويستبعد بذلك الخبرات التي تؤدي إلى النقص في التكيف. وهو يميز بين الخبرات التي تصدر من الحياة اليومية المعاشة والخبرات الناتجة عن التطور العلمي، فالأولى تقوم على تقبل المعتقدات والأفكار دون فحص، أما الثانية فهي التي تجعل الفرد أكثر تكيفا لأنها تقوم على الفهم الصحيح لإدراك العلاقات بين الأشياء وما يرتبط بالقوانين التي تحكم الظواهر في الطبيعة والحياة الاجتماعية.**(غيوة فريدة، 2002، ص : 112)**

إن مفهوم التربية عند جون ديوي هو نتاج دراسته للنظريات التربوية السابقة عليه وما تضمنته من أفكار، وأيضا موقفه المتميز من هذه النظريات ليصل في الأخير إلى تصور جديد للتربية. فالتربية عنده "هي الحياة نفسها وليست مجرد إعداد للحياة، وبأنها عملية نمو، وعملية تعلم، وعملية بناء وتجديد مستمرين للخبرة، وعملية اجتماعية، ولتكون التربية عملية حياة لابد أن ترتبط بشؤون الحياة، ولتكون عملية نمو وعملية تعلم وعملية اكتساب للخبرة لابد أن تراعى فيها شروط النمو وشروط التعلم وشروط اكتساب الخبرة، ولتكون عملية اجتماعية لابد أن تتضمن تفاعلا اجتماعيا ولابد أن تتم في جو ديمقراطي وجو اجتماعي صالح."**(الشيباني عمر محمد**

التومي،1971، ص : 349) بمعنى أن التربية مستمرة ما دام الإنسان حيا ولا تتوقف عند مرحلة معينة، كما أنها تخدم الفرد في يومه قبل غده، ومن خلالها يكتسب جملة من المعارف والمهارات التي تساهم في زيادة نموه وتعلمه، وتعمل على تحقيق التوافق بين ميولات ورغبات الأفراد ومطالب المجتمع.

إن التربية السوية عند ديوي هي التي تستند على ميولات ودوافع الطفل (جانب نفسي) دون أن ننسى الظروف التي تحيط به من مختلف الجوانب، ذلك لأنه لا يمكن عزل الطفل عن محيطه الاجتماعي (جانب اجتماعي)، وفي هذا يقول:« كل تربية تتم عن طريق مشاركة الفرد في النشاط الاجتماعي عند الجنس البشري، وهذه المشاركة تبدأ في الغالب بصورة لاشعورية منذ الولادة.»**(ديوي جون،1949، ص : 17)** وانطلاقا من هذا يجب على المعلم أو التربوي أن يستفيد من ما يقدمه علم النفس وعلم الاجتماع وذلك في سبيل تنظيم عمل التربية وجعله ملائما لحياة المجتمع، لأن التربية تعتبر وسيلة للتغيير دائما، وهي المجهود العملي الذي يهدف إلى ترجمة القيم إلى أهداف واتجاهات ومهارات لدى الأفراد. كما أن التربية التي ينشدها ديوي تتميز بأنها تركز على الاهتمام بالتعبير عن الذات، وبرفض القسر الخارجي، وتأكيدها على النشاط الحر، والتخلص من الأهداف والمواد الجامدة وذلك بالاطلاع على عالم متطور ومتغير، وكما دعا ديوي إلى التجديد في التربية لأنه رأى أن التربية التقليدية ممثلة بالمدرسة التقليدية قد قتلت روح الابتكار وذلك بما تدخره من أنشطة تعليمية لا تتجاوز الحفظ والتسميع والنقل والتقليد والتكرار. وفي هذا يقول:« إذا اتجهنا شطر المدرسة فإننا لا نجد ما يثير النشاط العقلي للطفل (...) فالمدارس تميل إلى الإقلال من النشاط الذهني إلى درجة سلبية تجعل الفرد ينقل كل ما تقدمه إليه، تجعله يعتمد على الاستظهار والحفظ مع استعمال عرضي للمنطق والتفكير والبحث التقني الايجابي، فتحصيل المعلومات في المدرسة حل محل التنقيب والبحث عنها.»**(ديوي جون، 1949، ص : 82)**

- خاتمة :

كانت هذه على العموم الخطوط العريضة للمراحل والتغيرات التي مرت بها العملية التربوية عبر التاريخ. فالتربية قد عكست خصائص ومميزات وظروف كل مرحلة تاريخية، وقد تأثرت هي بها بالمقابل .

لقد كانت التربية عند الشعوب البدائية والحضارات الشرقية القديمة تمارس بطريقة بسيطة وبدائية في وسائلها. كما أنها كانت قائمة على التلقين والتقليد والمشاركة ومحاولة التأقلم مع الطبيعة .

أما التربية اليونانية فعلى عكس المرحلة السابقة تميزت بنوع من التجديد والابتكاروالحرية الفردية. كما أننا نميز فيها نوعين من التربية حسب المدينتين اليونانيتين أثينا وإسبرطة .

لقد ركزت التربية المسيحية على السلوك الأخلاقي ومعرفة الخالق، وتنشئة الفرد على أساس خدمة الرب. وهذا ما جعلها تربية دينية روحية بامتياز، أهملت أمور الدنيا وملذاتها، وعملت على تحضير الفرد للعيش في الآخرة.

أما التربية عند المسلمين فنجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما أصل كل عملية تربوية وتعليمية، ومنهما تستقى مختلف المناهج والأهداف والغايات التربوية. كما نجدها قائمة على الوسطية والاعتدال بين أمور الدنيا وأمور الآخرة .

أما في العصر الحديث فقد عرفت العملية التربوية ظهور عدة اتجاهات ومدارس تربوية ممثلة بأبرز المفكرين التربويين من أمثال: جون جاك روسو، فروبل، هربارت سبنسر ... وغيرهم. لتدخل التربية في الفترة المعاصرة في تحديات جديدة بسبب التطور العلمي والتكنولوجي.

- قائمة المصادر والمراجع :

_القرآن الكريم

1_إبراهيم، ناصر. (2008). **أسس التربية**. ط 2. الأردن: دار عمان للنشر والتوزيع .

2_ابن منظور، (2004). **لسان العرب**. المجلد 6. مادة ربا. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.

3_أحمد عبد الرحمان عيسى. (1988). **في أصول التربية وتاريخها**. ط 1. السعودية: دار اللواء للنشر والتوزيع .

4_الأهواني، أحمد فؤاد. (1975). **التربية في الإسلام**. ط 2. مصر: دار المعارف .

5_الجوهري إسماعيل بن حماد. (1990). **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط 4. بيروت: دار العلم للملايين .

6_الدعيلج، إبراهيم بن عبد العزيز. (2007). **التربية**. ط 1. مصر: دار القاهرة .

7_الشيباني، عمر محمد التومي. (1971). **تطور النظريات والأفكار التربوية**. لبنان: دار الثقافة .

8_الغزالي، أبي حامد. (1992). **إحياء علوم الدين**. ط 2. لبنان: دار الكتب العلمية .

9_الفاربي، عبد اللطيف .(1994). **معجم علوم التربية**، ط 1. المغرب: دار الخطابي للطباعة والنشر .

10_الفنيش، علي أحمد. (1979). **أصول التربية**. تونس: الدار العربية للكتاب .

11_ بهي الدين، زيان. (1958). **الغزالي ولمحات عن الحياة الفكرية الإسلامية**. مصر: مكتبة النهضة .

12_ديوي، جون. (1949). **التربية في العصر الحديث**. ج1، تر: عبد العزيز عبد المجيد ومحمد حسن المقرجي. مصر: مكتبة النهضة المصرية .

13_ديوي، جون. (1964). **الديمقراطية والتربية**. تر: متى عفراوي وزكريا ميخائيل. مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

14_ديوي، جون. **الخبرة والتربية**. ط 3. تر: محمد رفعت رمضان ونجيب اسكندر. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية .

15_روسو، جان جاك. (1958). **إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد**. ترجمة: نظمى لوقا. مصر: الشركة العربي للطباعة والنشر .

16_عاقل، فاخر. (1974). **التربية قديمها وحديثها**. ط 1. لبنان: دار العلم للملايين .

17_عبد الدايم، عبد الله. (1984). **التربية عبر التاريخ**. ط 5. لبنان: دار العلم للملايين .

18_غيوة، فريدة. (2002). **اتجاهات وشخصيات في الفلسفات المعاصرة**. الجزائر: دار الهدى .

19_لالاند، اندريه. (2001). **موسوعة لالاند الفلسفية**. المجلد الأول. (A_G) ط 2. تعريب: خليل أحمد خليل. بيروت. باريس: منشورات عويدات .

20_ Louis, Marie Morfaux. Jean, Lefranc. (2005). **Nouveau Vocabulaire de la philosophie et des sciences humaines**. 1Ed .Paris: Armand Colin.